

العنوان
حي الورود - شارع محمد السادس - حائط ٤٦٦١٠
ص. ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
مناجها ورئيس تحريرها محمد الجاسير

اللازمة (التي بنوي)
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها الإدارة
ش. الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٦٠٥ س ٢٤ ذوا القعدة والحجة ١٤٠٩هـ - حزيران / تموز (يونيو / يوليو) ١٩٨٩م

٤٣٦٥٧

لمحات عن :



تاريخ جزيرة العرب

[حديث ألقى في نادي مكة الثقافي الأدبي ليلة الأربعاء ٩/ صفر ١٤٠٩هـ] ..

١ - أحمد الله حقَّ حمده ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خير خلقه ، وعلى آله وصحبه وتابعي نهجه .

أيها الإخوة : إن أخي الأستاذ الجليل رئيس هذا النادي الكريم أحصَفُ رأياً وأسمى فكراً من أن أصمَّهُ بأنه استسمن ذَا وَرَمٍ حين أتاح لي هذه المناسبة الطيبة للتحدث في هذا المجال الرحب الذي اختاره ، ومن بين هذه الصفوة الممتازة من أهل العلم والأدب مَنْ هو أولى وأجدر وأقدر على إيفاء الموضوع حقه ، إيضاحاً وبحثاً وتحقيقاً عميقاً .

ولهذا فلن أستأثِرُ بالوقت الثمين المخصص لي ، وبينكم من هو أحوُّ به مني ، بل سأؤثركم بالنصيب الأوفر منه ، مستمعاً إلى ما تبدونه من آراء ، ومستفيداً بما توضحونه من ملاحظات وتعليقات ، ومستعداً للإجابة على ما يوجه إليَّ من استيضاحات ، فما أنا في هذا المحفل الذي يضم هذه النخبة سوى محادثٍ مشاركٍ ، متطلعٍ للاستفادة ، مستزيدٍ من العلم والمعرفة منهم .

٢ - من المدرك بدهاءة أننا أمةٌ نتخذ من سيرة سلفها الصالح في ماضيها أوضحَ نَهْجٍ تسلكه في حاضرها ومستقبلها ، ومن هُنا فإن تاريخنا الذي نسعى جاهدين لتكون حياتنا امتداداً له تختلف نظرتنا إليه عن نظرة غيرنا من الأمم إلى التاريخ بوجه عام ، إلا أن تلك النظرة لا ينبغي أن تطغى بدرجة تلتبس معها الأمور علينا ، بحيث لا تُتميِّزُ بين مانحن مطالبون بالتأسيُّ به ، وبتأخذ القدوة منه من

واقع تاريخنا ، وبين ما نَتَخَيْلُهُ واقِعاً بَوَحْيٍ من عواطفنا ، أو ثقة بنقل عالم ، له في نفوسنا من الإجلال والتقدير ما يحملنا على الثقة به ، قبل أن نَشَبَّتْ صححة نقله ، وأن ندرك وجاهة التأسّي والافتداء بما نقل .

٣ - وما ابْتُلِيَ تاريخُ أمةٍ من الأمم - ممن أصبح لها تاريخ - بِأَسْوَأِ مِنْ هَاتَيْنِ البليتين : تحكّم العاطفة حُبّاً أو كراهة ، والثقة العمياء بمن ليس أهلاً للثقة في جميع أحواله ، وَلَنْ يَعْدُوَ الحقيقة من وصف تاريخ أمتنا - في جميع أطواره وفي مختلف عصوره - بعدم السلامة منها ، وحسبُ المنصف الباحث عن الحقيقة أن يلقي نظرة على المصادر الأولى لهذا التاريخ ليدرك ماشحن به كثير منها من الخرافات والأساطير ، حتى ماله صلةٌ بأسمى مصدر ، وأجله قَدراً وهو تفسير القرآن الكريم ، فلم يتورع كثير من قدماء المفسرين - عن حسن نية ، وعن ثقة بمن يتلقون عنه - من مزجه بالخرافات الإسرائيلية ، والحكايات الباطلة .

٤ - يبالغ بعضُ العلماء من غير المتمكنين من التعمق في الدراسات التاريخية - ممن يقرر أن هذه الجزيرة لا تاريخ لها قبل ظهور الإسلام ، وقبل بدء تدوين تاريخه في آخر القرن الثاني الهجري فما بعده ، فبالإضافة إلى ما وصل إلينا من علوم العرب وأخبارهم وأشعارهم - مما لا يصح تجاهله - فقد استطاع علماء الآثار اكتشاف مايدلُّ على وجود مظاهر متعددة وواضحة ، لحضارات عريقة في مختلف أنحاء هذه الجزيرة ، جنوبها - في اليمن وفي قرية الفأو في المملكة وفي الشمال - العُلا (وادي القُرى) وتيباء والجوف - وفي الشرق - قرب ساحل الخليج العربي ، وتمكّن أولئك العلماء من أن يوضحوا معالم تلك الحضارات ، وأن يحددوا أزمانها ، وأن ينسبوا إل أهلها .

٥ - ومن الأسس التي يقوم عليها علم التاريخ - مع النصوص المدونة أو المروية - الآثارُ المشاهدة .

ومن الوهم نِسْبَةُ علم الآثار في تدوين حوادث التاريخ إلى علماء الغرب ، فعلماء العرب قد عرفوا هذا العلم ، واستفادوا منه في حدود إدراكهم ، قبل أن يكون للغربيين علم تاريخ مُدَوَّنٍ صحيح .

وفي القرآن الكريم ملامح واضحة توجه إلى الانتفاع بالآثار والاستفادة والانتعاش بمشاهدتها ، ففي سورة (الحجر^(١)) حين ذكر جل وعلا ما وقع لأهل مدينتي سدوم والأبيكة من العذاب قال عن الأولى : ﴿ وَإِنَّهَا لَبَسِيلٌ مَّقِيمٌ ﴾ أي على الطريق يشاهد المجتاز بها آثارها ، ثم قال عنها وعن الثانية : ﴿ وَإِنَّهَا لَبِئَامٌ مُمِينٌ ﴾ أي على طريق ظاهر واضح ، فقد كانتا على طريق تجار العرب ورحالهم إلى الشام ، الأولى في الأردن ، والثانية في بلاد مدين بمنطقة ظباء في شمال الحجاز .

٦ - حقاً لقد كان لعلماء الغرب فضل الاتجاه للاستفادة بهذا العلم في العصور الأخيرة ، حين عُني المستشرقون منهم بدراسة تاريخ العرب القديم ، فدفعهم عدم الاطمئنان إلى ما دُوّنَ عنه إلى جمع ما استطاعوا جمعه من الكتابات الأثرية عن المواقع التاريخية ، وبعد ان تمكنوا من حل رموز تلك الكتابات اتجه علماء منهم ذوو اختصاص لِلتَّجْوَالِ في أنحاء الجزيرة للبحث والتنقيب عن آثارها ، لاستكمال معرفة ما عرفوه من أحوالها القديمة ، فتمكنوا من جمع ذخيرة طيبة منها هيأت لدارسي التاريخ القديم - عن هذه الجزيرة - وضع أسس علمية ، لجوانب مجهولة من تاريخ بلادنا القديم ، حتى تمكنت طلائع من مثقفي أبنائها من السير على منوال أو تلك العلماء في هذا المضمار ، فبرز من بواكير أعمالهم ما يبعث على التفاؤل .

٧ - ففي الجنوب (اليمن) - أغنى النواحي بما خلفه المتقدمون من محافد وسدود وكتابات ورسوم منقوشة على الآثار - كان لهذا العلم الفضل في إبراز ما كان مجهولاً من تاريخ هذه البلاد ، وإيضاح ما كان خافياً من معالم حضارته ، في حقبة من التاريخ سبقت التاريخ الإسلامي بعشرات القرون ، وما كان يعرف عنها سوى قصص وأخبار تتناقلها الرواة ، أشبه بالأساطير والخرافات .

وفي قرية الفأو^(٢) بين وادي الدواسر ونجران - أبرز الجهد المشكور الذي بذلته جامعة الملك سعود ، وقام بتوجيهه العالم الأثري الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن الطيب الأنصاري - أبرز ذلك الجهد آثاراً تاريخية لسكان هذه الناحية قبل

الإسلام ، سيمد الباحثين في تاريخ بلادنا بروافد جديدة من المعلومات ، قد تكشف عن جوانب مجهولة من تاريخها .

ولا ينبغي تجاهل مابذله أحد تلاميذ الدكتور الأنصاري وهو الأستاذ الدكتور سعد الراشد في التنقيب عن آثار بلدة (الربذة) التي كانت معروفة في صدر الإسلام ثم أدركها الخراب في أول القرن الرابع^(٣) (٣١٧هـ) .

وفي الشرق بقرب سواحل الخليج كشف التنقيب عن الآثار آثاراً عمرانية لأحقاب تاريخية قديمة ، ماكانت معروفة في تاريخ هذه النواحي ، كما أوضحت كتابات أثرية عثر عليها في (ثاج)^(٤) عن صلات قوية بين سكان جنوب الجزيرة من الدول التي قامت هناك وبين أهل هذه الجهات التي كانت معبراً للتجارة بين جنوب الجزيرة وشمالها .

وفي قلب الجزيرة حيث لم يَجْرَ بَعْدُ أيُّ تنقيب عن الآثار له أهمية ، لانزال تشاهد بعض الكتابات القديمة بالخط المسند في جبل (مأسل^(٥)) وفي منطقة (قُرآن^(٦)) وغيرهما مما يوضح تغلغل لغة أهل الجنوب ونفوذهم في قلب الجزيرة إلى خارجها ، وكان من أوائل من لفت النظر إلى تلك الآثار عبدالله فليبي .

واستطاع الرحالة الفرنسي شارل هوبر أن ينقل إلى متحف (اللوفر) في (باريس) من بلدة (تيماء) في شمال الجزيرة حجراً ذا أهمية كبيرة لدى علماء الآثار ، لما عليه من كتابات وصور^(٧) ، وأن يُسجل وصفاً ويصور نماذج لبعض ما شاهد مما بقي من آثار تلك البلدة المعروفة منذ القدم بآثارها في رحلته^(٨) ، ولكنه دفع حياته ثمناً لذلك في قصة محزنة .

٨- ومع اعتبار علم الآثار من أوثق المصادر التاريخية فيما يضيفه من معلومات ، فان فيه مزالق أقدام ، وزلاّت أقلام ، بالنسبة للأبحاث التي لم تَعُدْ بَعْدُ طورها الأول ، كالحال في بلادنا ، إذ كثيراً ما يحاول العالم الأثري جاهداً إثبات قضية تاريخية مُعَوَّلًا على رموز ناقصة ، وأرى أن دارس الآثار والمنقب عنها في جهة ما ، يجب ان يكون لديه اطلاع واسع ، على تاريخ المكان الذي ينقب عن آثاره ، ومعرفة سكانه الأقدمين .

وبالنسبة لما تم كشفه من آثار البلاد فإن ما قدمه هذا العلم للمهتمين بالدراسات التاريخية لا يَعدُّ تناول جوانب يسيرة من التاريخ لم تصل بعد لإمداد المهتمين بتلك الدراسات بمصادر جديدة عن قضايا تاريخية^(٩) . وما زال هاؤلاء - وسيبقون زمناً حتى تتكامل التنقيبات الأثرية في جميع أنحاء البلاد - يعولون على المصادر التاريخية الأولى .

٩ - وما هي تلك المصادر؟ وماذا فيها عن تاريخ هذه البلاد؟

أ - إن أسماها منزلة وأوثقها وأجلها في مقام الاستدلال القرآن الكريم ، وهو كتاب هداية وارشاد ، واعتبارٍ وعظة ، وليس كتاب تاريخٍ يسرد الحوادث كاملة ، وإنما يكتفي بالإشارة إلى مواضع العبرة من الحادثة ، حين يسوق خبرها ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أمم كانت تعيش في هذه الجزيرة في عصور قديمة منها :

ثُمُودٌ : وقد ذُكرت في القرآن الكريم نحواً من ٢٦ مرة ، وكانت تسكن في الحجر ، الوادي الذي لا يزال معروفاً شمال مدينة العُلا بما يقارب ٣٥ كيلاً ، ولا تزال آثار القوم بارزة هناك .

عَادٌ : ورد ذكرها ٢٤ مرة وموطنها الأحقاف في الطرف الجنوبي من الرمال التي تعرف الآن باسم الربع الخالي ، في جنوب الجزيرة بالامتداد إلى بلاد حضرموت .

مَدْيَنٌ : ذكرت ١١ مرة في القرآن الكريم ، وبلادها ممتدة على ساحل الطرف الشمالي من بحر القُلُزمِ (البحر الأحمر) من شمال ميناء الوجه حتى نهاية الخليج فما بعده إلى سَيْناء ، وبلاد الشام ، وآثار هذه البلاد - مع بروز كثير منها ظاهراً - لا تزال بحاجة إلى الكشف والإبراز والدراسة .

سبأٌ : أمة من العرب الباقية ، بلادها مأرب ، المعروفة شرق صنعاء بنحو ١٥٠ كيلاً ، وقد قام كثير من العلماء الأثريين من غربيين وعرب بزيارة تلك البلاد والاطلاع على آثارها ودراستها والكتابة عنها .

قوم تُبَعٌ : ذُكروا في القرآن الكريم بدون تسمية ، وتُبَعٌ واحد التبابعة وهم ملوك اليمن .

ومن البلاد التي ورد ذكرها في القرآم الكريم :
الأَحْقَافُ : وهي موطن عادٍ كما قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ
قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾^(١٠) .

الأَخْدُودُ : قص الله نبأه في سورة (البروج^(١١)) ، ولا يزال اسم الموقع يطلق
على مكان في نجران ، ومن أوفى من كتب عنه من المتأخرين فلبني^(١٢) في فصل
مطول عن نجران في كتابه عن مرتفعات « ARABIAN HIGH LANDS » بلاد
العرب .

الأَيْكَةُ : ذُكرت في القرآن الكريم أربع مرات ، وسُميت في بعض القراءات
(ليكة) باعتبار هذه الكلمة اسم مدينة ، وسبقت الإشارة إلى ذلك ، وأنها في
بلاد مَدِين ، ومن الغربيين كَمُوزل وقلبي من حدد موقعها في وادٍ يتفرع من وادي
عَفَال ، وهذا واقع فيما عرفه ابن عباس - رضي الله عنه - من قوله : الأيكة من
مَدِين إلى شَغْبٍ وبدا ، وفي رواية أخرى : أنها من ساحل البحر إلى مَدِين^(١٣) .

الحِجْرُ : بلاد ثمود المتقدم ذكرهم ، قال جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ
الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(١٤) ولا يزال معروفاً باسمه شمال (العُلا) بنحو (٣٠)
كيلاً .

الرس : ورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم في موضعين^(١٥) ،
وللمفسرين كلام كثير في تفسير (الرِّسُّ) وعلى ما يرى الإمامان الجليلان قتادة بن
دعامة السدوسي وعكرمة مولى ابن عباس أنها الفَلَج أي بلاد الأفلاج^(١٦)
المعروفة ، وهي بلاد ذات حضارة قديمة على ما ذكر الهمداني^(١٧) ، وعلى ما يبدو
من آثار أفلاجها - أي أنهارها التي كانت جارية ويتوسع آخرون فيرون اسم
(الرس) يشمل الجانب الشمالي من حضرموت إلى (الأفلاج) مع شمال شرق
اليمن .

وهناك مواضع قديمة في الجزيرة ورد ذكرها في كتب قديمة كـ « العهد القديم »
(التوراة) ومنها :

تَيْمَاءُ : البلدة المشهورة التي لاتزال قائمة ، وقد ورد ذكرها في التوراة^(١٨) .

دَيْدَانُ : ويطلق هذا الاسم قديماً على وادي القرى (العلاء ونواحيها) وقد ورد اسم ديدان في التوراة أيضاً^(١٩) .

حَدَدُ : الجبل المُطل على تيباء ، المعروف الآن باسم (غُنَيْم) وقد عثر في قمته على آثار^(٢٠) .

دُومَة : وهي دومة الجندل المدينة المعروفة^(٢١) .

ومواضع أخرى لا يتسع المجال لذكرها .

ب - السيرة النبوية :

تحوي سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام أخباراً تتعلق بالجزيرة وسكانها ، ذات أهمية من الناحية التاريخية ، ولقد تم تدوينها تُعدُّ من أوثق المصادر لاحتوائها على أخبار غزوات الرسول ﷺ وسراياه ، وكلها موجهة إلى قبائل في هذه البلاد ، كما تحوي أخبار الوفود من تلك القبائل الذين وفدوا عليه ﷺ في المدينة ، ولهذا فإن ما ألفه ابن إسحاق والواقدي وابن سعد وابن هشام ومن عاصر هاؤؤلاء عن سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام يُعدُّ من أهم المصادر التاريخية لهذه البلاد ، ويضاف إلى هذا ماجرى في عهود الخلفاء الراشدين الأربعة من حوادث حروب الردة والفتوحات الإسلامية ، ثم ما حدث أثناء عهد الإمام علي بن أبي طالب من الفتن ، فجُلُّ المشتركين في تلك الحروب والفتوحات والحوادث من أهل هذه البلاد .

ج - المذوون من أخبار العرب قبل الإسلام وبعد ظهوره ، ومن أنساب القبائل وأشعارهم وحوادثهم المعروفة بأيام العرب .

١٠ - يَهْمُ من يتخيل علم النسب علماً جافاً لا يعدو سرد أسماء الآباء والأجداد سرداً لا يقوم على أساس من الصحة ، مع ما يحدثه التثبيت به من أسباب الفرقة في مجتمع الأمة ، والواقع ان علم النسب عند العرب كان من أقوى الروابط التي صانت كياناتهم - في عهودهم القديمة - من التفرق والتمزق ثم الفناء ، وهو - من الناحية التاريخية النواة الأولى لتدوين تاريخهم ، إذ كانت الغاية

منه إبراز المآثر والمحامد بذكر النابهين والمبرزين في أي مجال حيوي نافع ، ومن ثمَّ عُني علماء التاريخ بعلم الأنساب ، فاتخذوه أساساً ، فالبلاذري (أحمد بن يحيى ابن جابر البغدادي المتوفى سنة ٢٧٠) جعل كتابه الحافل الذي وصلت إلينا منه أجزاء سجلاً حافلاً للتاريخ بحيث يمكن أفراد أجزاء منه في تراجم عظماء الأمة وهو كتاب « أنساب الأشراف » وعالم الحجاز في عصره الزبير بن بكار القرشي المتوفى سنة ٢٥٦هـ لما ألف كتابه « جمهرة نسب قریش » شحنه بالنصوص التاريخية والأشعار والأخبار العامة حتى قال له اسحاق بن ابراهيم الموصليّ - أحد علماء ذلك العصر - : يا أبا عبدالله عملت كتاباً سميته كتاب النسب وهو كتاب الأخبار^(٢٢) . وباستقراء ما أُلّف في هذا الموضوع في عهود التدوين الأولى كمؤلفات هشام بن محمد بن الكلبي ومحمد بن حبيب وابن قتيبة ومن عاصرهم ، يجد الباحث مادةً غزيرة عن تاريخ هذه الجزيرة في صدر الإسلام وقبله .

١١ - تلك لمحات تتعلق بالأسس العامة لتاريخ الجزيرة ، أما بالنظر إلى مايتعلق بكل قطر من أقطارها من المصادر التاريخية فيحسن إدراك الاختلاف بين هذه الأقطار في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية :

أ - فالحجازُ قد اختصه الله بميزات انفراد بها عن غيره من أقطار العالم كلها ، فجعله مَقَرَّ بيته العظيم الذي فرض حجه ، ومهبط الوحي على رسوله الكريم ﷺ - الذي أوجب طاعته ، فأصبح هذا القطر مهوى الأفتدة ، ومطمح النفوس المؤمنة ، ومن ثمَّ سارع المسلمون إلى الاهتمام به ، والعناية بمختلف شؤونه ، ورعاية سكانه ، وصيانة مافيه من المشاعر المقدسة ، وهذا يستلزم الاهتمام بمعرفتها معرفة تامة ، ومن هنا نشأ الاتجاه لتدوين التاريخ في هذا القطر الكريم ، امتداداً لما بدأ به المعنيون بالتأليف في السيرة النبوية في مواطنها الأولى .

ولعل من أقدم ماعرف في هذا العصر من أوائل المؤلفات المتعلقة بتاريخ هذا القطر : « أخبار المدينة » لابن شبة و« أخبار مكة » للأزرقي وللفاكهي ، والكتب الثلاثة مطبوعة ، إلا ان أولها وآخرها لم يصلا كاملين ، ونقص الأول كان معروفاً منذ عهد قديم ، أما الثاني فقد نسخ الكتاب كاملاً في مكة المكرمة

سنة سبع وسبعين وثمان مئة مما يبعث الأمل بالعثور على القسم المفقود منه ، وهو قسمه الأول ، وقد نُشر القسم الثاني في ستة أجزاء (٢٣) .

والفاكهي والأزرقي متعاصران عاشا في القرن الثالث الهجري ، ولكن كتاب الفاكهي أحفلُ بالمعلومات ، وكما وصفه مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي قائلاً^(٢٤) : (وكتابه في أخبار مكة كتاب حسن جداً لكثرة ما فيه من الفوائد النفيسة ، وفيه غُنْية عن كتاب الأزرقي ، وكتاب الأزرقي لا يغني عنه ، لأنه ذكر فيه أشياء كثيرة حسنة مفيدة جداً لم يذكرها الأزرقي ، وأفاد في المعنى الذي ذكره الأزرقي أشياء كثيرة لم يُفدّها الأزرقي) . وقول الفاسي هذا لا ينبغي كون الفاكهي أطلع على كتاب الأزرقي فاقْتبس منه ، فقد عاش سنين بعد وفاة الأزرقي ، وهما من بلدة واحدة ، وتبرز عند الفاكهي حاسّةُ المؤرخ ، يبدو هذا باهتمامه بنقل بعض ما يشاهد من الآثار ، فقد ذكر أن أمير مكة علي بن الحسن أمر الحَجَّبة في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ومئتين بحمل مقام إبراهيم إلى دار الإمارة ليُرَكَّبَ فوقه طوقان من الفضة ، وأنه كان ممن شاهد إحصاره ، فرأى في جوانب المقام كلها خطوطاً وصفها وحدد قياسها وقال : وإذا فيه كتاب بالعبرانية – ويقال بالحِميرِيَّة – وهو الكتاب الذي وجدته قريش في الجاهلية ، فأخذتُ ذلك الكتاب من المقام بيدي (يقصد نقلته) وحكيته كما كان مخطوطاً فيه ، ولم آل جهدي ، وهو الذي خططته الآن ، ثم رسم صورة مانقل ، وذكر أنه عرض تلك الكتابة على إنسان سمّاه كان يقرأ الكتابة التي على الأحجار في مصر (البرابي) منذ ثلاثين سنة وأنه فسره بتفسير جاء فيه : إن السطر الثالث (اصباوت) وهو اسم الله الأعظم ثم نقل عن تفسير سُنيْدٍ في معنى الكلمة المذكورة تأييداً لما ذكر ، ونقل عن شيخه علي بن زيد الفرائضي أن الكتاب الذي في المقام بالحِميرِيَّة^(٢٥) ، وقد اطلعت على دراسة لأحد المعنيين^(٢٦) بالدراسات التاريخية عن تلك الكتابة المصورة في كتاب الفاكهي في إحدى المجلات تُؤيد ما ذكره الفاكهي .

ولا يتسع المجال للحديث عما أُلْف عن البلد الأمين ، فقد اتصلت حلقات التاريخ إلى عهدنا الحاضر ، ومن أبرز مؤرخيه تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي

(٨٣٢/٧٧٥) وأشهر مؤلفاته « العقد الثمين » و « شفاء الغرام » ، ثم أتى من بعده آل فهد علماء مكة بمؤلفاتهم المشهورة^(٢٧) ، وتلاههم قطب الدين النهروالي ، ثم من بعده من العلماء كان آخرهم صديقنا الأستاذ أحمد بن محمد السباعي - رحمه الله - مؤلف كتاب « تاريخ مكة » الذي حاول أن يُلخِّص فيه مُجْمَل تاريخ هذه البلدة الطيبة بأسلوب حديث فجاء جامعاً شاملاً .

أما عن تاريخ المدينة المنورة فلم يكن الاهتمام به بأقل من الاهتمام بتاريخ مكة المكرمة ، إلا أن مؤلفات متقدمي المؤرخين كعبدالعزیز بن عمران الزهري ، ومحمد بن الحسن بن زباله ، ويحيى الحسني ، وعمر بن شبة ، لم يصل إلينا منها سوى قسم من كتاب ابن شبة « أخبار المدينة »^(٢٨) وتبعهم علماء آخرون في التأليف عن تاريخ المدينة ممن يطول الحديث عنهم ، إلا أن السيد علي بن عبدالله السمهودي (٩١٠/٨٤٤) في القرن التاسع حاول أن يلخص جل مؤلفات من قبله في كتابه « وفاء الوفاء » أحفل كتاب وصل إلينا عن تاريخ المدينة في خلال تسعة قرون ، إلا ما يتعلق بتراجم علمائها فقد حاول المؤرخ محمد بن عبدالرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ أن يكمل هذا الجانب فألف كتاب « التحفة اللطيفة » يحوي تراجم مشاهير أهلها . وعُني علماء آخرون إلى عهدنا بالتأليف عن تاريخ هذه البلدة الطيبة .

وكتب الرحلات من أغزر الروافد التاريخية ، وللحرمين الشريفين منها أوفر نصيب في مختلف العصور ، ولئن كانت المؤلفات التاريخية تُعنى بجوانب خاصة محددة فإن مباحث الرحلات عامة شاملة ، تتناول النواحي التاريخية والجغرافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأثرية ، ولهذا فهي تُمدُّ مختلف الباحثين بمعلومات غزيرة ، ولو ساغ لي الاقتراح لتمنيت على جامعة (أم القرى) جمع ما تستطيع جمعه منها - وفي الخزانة العامة في الرباط في المغرب منها ما ليس في غيرها^(٢٩) - ثم تكل إلى المعنيين بالدراسات التاريخية من طلابها بتوجيه الأساتذة دراسة تلك الرحلات وترتيب ما فيها من معلومات حسب موضوعاتها وعصورها ، ثم تهيئ ذلك للدارسين .

ب - اليمن : وهو موطن حضارة قديمة ، ومستقر حكومات منظمة ، وفي

خصوبة أرضه واعتدال جوه ، ووفرة مياهه في القديم ما هيا لسكانه الاستقرار والاستمرار في حياة هناة ورغد ، ومثل هذه الحالة تتيح الجو المناسب لانتشار العلم ووفرة العلماء ، وهكذا كانت الحال في هذه البلاد ، فقد عُرف فيها منذ عهدها القديم علماء في مختلف الفنون ، ومنهم من عُني بتاريخ بلادهم ومن أشهرهم لسان اليمين الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٢٨٠ / ٣٥٥ تقريباً) صاحب كتاب « الأكليل » و « صفة جزيرة العرب » و « الجوهرتين » ولولا أن العصبية القبلية برز أثرها في بعض مؤلفات هذا العالم لحاز قصب السبق بين مؤرخي هذه البلاد لاهتمامه بالأثار اهتماماً حمله على تخصيص جزءين من كتابه « الأكليل » لها ، هما الثامن عن محافد حمير ، وقصورها ، وفيه رسم حروف المسند ، والتاسع عن أمثال حمير و حكمها بلعنتها ، وهذا من الأجزاء المفقودة ، مع أنه برز على غيره بمعلوماته الجغرافية . ومن علماء اليمين نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ وهو عالم حذا حذو الهمداني في إحياء الآثار القديمة . أما التاريخ الإسلامي فقد عني به علماء آخرون متأخرو العصر ، لهم مؤلفات كثيرة لعل من أشهرها كتاب « غاية الأمان في أخبار القطر البياني » للعلامة يحيى بن الحسين بن القاسم (١٠٣٥ / ١١٠٠) وهناك مؤلفات أخرى عن هذا القطر كان من آخرها مؤلفات الإمام الشوكاني والسيد محمد زبارة أحد العلماء المعاصرين بحيث اتصلت حلقات هذا التاريخ في العهد الإسلامي .

جـ - تهامة : ونشأ في تهامة حكومات آزرت العلم والعلماء ، واهتمت بالتأليف في مختلف العلوم ، وكانت مدينة زبيد من أشهر المدن العلمية ، لا في تهامة وحدها بل في الجزيرة كلها ، حيث خرج منها عدد من مشاهير العلماء ، ومن أشهر علماء تهامة عمارة بن الحسن الحكمي الشاعر المتوفى سنة ٥٦٩ صاحب كتاب « المفيد في أخبار زبيد » وعلي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ هـ مؤلف كتابي « المسجد المسبوك » و « العقود اللؤلؤية » ومن بعده عبدالرحمن بن علي الدبب المتوفى سنة ٩٤٤ الذي أفرغ جهده في تصديده لتدوين التاريخ عن زبيد وعن اليمين بصفة عامة في مؤلفات نشر أكثرها . ووجد في تهامة أيضاً علماء في المخلاف السليمان في بلدة ضَمَد ونواحيها من آل الضَمَدي وآل البهكلي وغيرهم ، لهم مؤلفات عن المخلاف السليمان معروفة ، وخلفهم علماء ساروا على نهجهم إلى

٢٩٩

هذا العهد آخرهم صديقنا الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي مؤلف كتاب « تاريخ المخلاف السلياني » .

د- أما في عُمان فبسبب انعزال هذه البلاد وبعدها عن الاتصال بالأقطار الإسلامية الأخرى صرف علماءها جُلَّ جهدهم في التأليف الديني، فيما يتعلق بمذهب الإمام عبدالله بن إياض، وكانت عنايتهم بالجانب التاريخي محدودة، ولعل كتاب « تحفة الأعيان في سيرة أهل عُمان » للشيخ عبدالله بن حميد السالمي المتوفى سنة ١٣٣٢ هو أشهر ما عرف من مؤلفات أهل هذا القطر وأشملها في تاريخه، ومؤلفه من أعيان أئمة الإباضية .

هـ- ولصلة شرق الجزيرة وهو ما يعرف قديماً باسم (البحرين) وحديثاً (المنطقة الشرقية) بما يجاورها من البلاد فقد قام في هذا القطر حكومات متعاقبة إلا أنها لضعفها ولقصر أزمقتها لم يكن لها من الناحية العلمية من الآثار ما هو باقٍ وواضح الآن، وقد كانت لصلة هذا القطر بالبلاد المجاورة له بحيث امتد نفوذ بعض الدول التي حكمت تلك البلاد مادفع مؤرخيها لإيراد اشارات تاريخية موجزة عن تاريخه، ففي هذه اللمحات الموجزة مع ماورد في المؤلفات التاريخية العامة عن الدول الإسلامية من نصوص متعلقة بالحكومات التي قامت في هذا القطر من مواد تاريخية ما لو جمع ودرس لاستفاد منه الباحثون .

و- أما عن قلب الجزيرة وجوانبها التي لم يرد لها ذكر - فإن نمط الحياة بين السكان يختلف عن غيره في الأقطار التي تهبها لها من وسائل الحياة ما كفل لها الاستقرار، فكان أوئلك السكان وخاصة في العصور التي انتقلت فيها قاعدة الخلافة من المدينة المنورة إلى دمشق ثم بغداد - في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، إذ لم يسبق لهم الأنضواء تحت حكم منظم، ولم تمتد أيدي الإصلاح القوية لتطوير شؤون الإدارة داخل البلاد، بل وقف الأمر عند حد انقياد أوئلك السكان في عهد الرسالة، انقياداً ما لبث أن تغير بعد وفاة الرسول ﷺ حتى أخضعهم بالقوة خليفته الصديق، ثم من بعده من الخلفاء الراشدين، ولما ضعفت الخلافة الإسلامية، وانكمش نفوذها عن الجزيرة، عادت حالة هذه البلاد إلى سابق عهدها، ولهذا لم يعرف خلال القرون التي مرّت بعد عهد الخلفاء

إلى القرن العاشر الهجري - لم يعرف بها عالم ذو أثرٍ باقٍ ، باستثناء عالِمين أحدهما محمد بن إدريس بن أبي حفصة ، من أهل القرن الثالث الهجري - وهومن أسرة من الموالي انتقلت من المدينة في عهد عبدالمك بن مروان إلى اليمامة ، فاستقرت في نواحي الخرج - عُرف لمحمد هذا كتابٌ كان من مصادر ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » سماه « مناهل اليمامة »^(٣٠) وفي موضع آخر « مناهل العرب »^(٣١) وفي موضع ثالث « اليمامة »^(٣٢) وهذا الكتاب مخصص لتحديد مواقع قرى اليمامة وعيونها وطرقها وأماكنها المشهورة ، وقد نقل عنه ياقوت فأكثر النقل^(٣٣) .

والثاني أبو علي هارون بن زكريا الهجري الذي تصدى في القرن الثالث لتدوين علوم عرب الجزيرة من لغة وشعر ونسب وتحديد مواضع وغير ذلك ، مما لم يسبق إليه ، ولعله لما لم يستطع التنقل بين تلك القبائل لنقل معارفها اختار العيش في كنف أمراء المدينة ، فاتخذ في عقيقها منزلاً حيث مضارب الوافدين إليها ، للاجتماع بهم وكتابة معارفهم ، ومع ذلك فقد جمع في مؤلفه العظيم « النوادر والتعليقات » ما لم يجمعه غيره^(٣٤) .

وإن الأسى ليكاد يعصر القلب بتصور كثافة الجهل المخيم على هذه البلاد طيلة عشرة قرون ، بحيث أصبحت في معزل عن العالم ، ولو غامر مغامر من غير أهلها باجتيازها لقل أن تكتب له السلامة ، كما حدث لذلك الرحالة الفارسي^(٣٥) الجريء الذي سلب منه أثناء رحلته ما معه سوى أنفـس شيءٍ يحمله وهو حمل كتب ، وانقطع في بلدة الأفلاج خمسة شهور .

١٣ - وبدت تبشير الأمل تلوح من هذا الوادي الذي وصف الله أهله بأنهم أولوا بأس شديد^(٣٦) ، فقامت الدولة السعودية الميمونة بمؤازرة الدعوة السلفية ، ونشرها في ربوع الجزيرة في منتصف القرن الثاني عشر ، ومع ما اعترى انتشارها من تعثرٍ ، وما لقيت من شدة عداوة ، وضراوة في محاربتها ، إلا أن الله كتب لها البقاء والاستمرار ، حتى تمكن موحد البلاد - بتوفيق الله - من أن يجمع أقطارها تحت لواء واحد ، فلم شتاتها ، ووحد كلمتها ، وصان حوزتها ، وسار أبنائها الميامين ، على نهجه الحميد في البناء وتوطيد الأمن ، ثم بإرساء قواعد الإصلاح

والعدل ، وفي نشر العلم ، حتى بلغت من ذلك ماهي عليه الآن في جميع مرافق حياتها .

والله المسؤول أن يديم لها ما تتمتع به من رخاء وازدهار وأمن وأمان ، وأن يحوطها برعايته وحفظه ، وأن يُمدِّدَ قادتها وولاة أمورها بالتوفيق والصلاح .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

- (١) الآيات : ٧٩/٧٤ .
- (٢) الاسم (قرية) وأضيف إلى الفاو لوقوعها في مدخل (فأو) أي فج يخترق جبل العارض (طويق الجنوبي) والفاو - لغة - الصدع بين الجبلين ، وأول من لفت النظر إلى مافي (قرية) من الآثار الهمداني فقد قال في «صفة جزيرة العرب» في وصف طريق نجران ص ٢٦٦ طبعة ١٤٠٣هـ : (فان تيامنت ماء عاديا يسمى قرية ، إلى جنب آبار عادية ، وكنيسة منحوتة في الصخر) . انتهى ، والعادي القديم المنسوب إلى عاد . الأمة القديمة .
- (٣) انظر عن (الربذة) وآثارها كتاب «الربذة» تأليف الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد من منشورات جامعة الملك سعود .
- (٤) انظر عن آثار (ناج) «مجلة العرب» س ٢ ص ٦٢٩ و «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (المنطقة الشرقية) ج ١ ص ٣٠٧ وما بعدها .
- (٥) «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» ص ١٣٩ ، ومأسل جبل في منطقة العرض (عرض شام قديماً) و عرض القويعة الآن .
- (٦) مجلة «العرب» س ٩ ص ٦٣٠ .
- (٧) انظر عن هذا الحجر «في شمال غرب الجزيرة» ٣٥٧ .
- (٨) شارل هوبر Charles Huber زارها سنة ١٨٨٤ وتحدث عن زيارته في مجلد ضمخم صفحاته (٧٨٠) طبع في باريس سنة ١٨٨٨ باسم Journal d. um uoyage en Arabia وانظر عن هوبر : «في شمال غرب الجزيرة» ٣٥٧/٣٥٢ .
- (٩) حاولت أثناء تعليقي على كتاب الدكتور كمال صليبي «التوراة جاءت من جزيرة العرب» - حاولت معرفة جانب أثري عن أماكن في جنوب المملكة زعمها الدكتور الصليبي قديمة فلم أجد لدى الجهة المعنية بالآثار التي اتصلت بها مايفيد .
- (١٠) سورة الأحقاف ، الآية الـ (٢١) .
- (١١) الآية الـ (٤) .
- (١٢) في كتابه «مرتفعات بلاد العرب» «ARABIAN HIGH LANDS» .
- (١٤) سورة الحجر الآية الـ (٨٠) .
- (١٥) سورة الفرقان الآية الـ (٣٨) .
- (١٦) «جامع البيان في تفسير القرآن» للطبري ج ١٩ ص ١٤ طبعة الحلبي .
- (١٧) «صفة جزيرة العرب» ٣٠٤ ط دار البيامة .
- (١٨) سفر التكوين ٤/٢٥ وسفر أشعيا ١١/٢١ وسفر أرميا ٢٣/٢٥ .
- (١٩) سفر أرميا ٢٣/٢٥ .

العرب ومستقبل (افريقيا)

لقد شاء الله لي أن أتجول في (افريقيا) عدة جولات رسمية وخاصة - وآخرها في أول شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ - ولقد وجدت في ذلك متعة كبيرة ، خصوصاً وأنا التقي بمجموعة من الأشقاء الأفارقة من المسلمين ، وبعض رجال الفكر والمثقفين ، ولكني في رحلتي الأخيرة هذه التي قُمتُ بها لتتبع نشاط بعض الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في بعض الدول الافريقية ، وخاصة في (تنزانيا) و(زيمبابوي) و(ملاوي) و(كينيا) ومن قبلها (غينيا) و(غانا) و(نيجيريا) و(السنغال) شعرت خلال جولتي الأخيرة بقلق شديد ، وتملكني شعور بالخوف على مستقبل الإسلام في (افريقيا) ، وذلك لأنني شعرت بأن العرب قد بدأوا ينسحبون من (افريقيا) في وقت غير ملائم بأي شكل من الأشكال ، ومما يؤسفني انهم ينسحبون ولا يدركون انهم ينسحبون .

فبعد ذلك الماضي المجيد في (افريقيا) وبعد تلك الشمس المشرقة التي

-
- (٢٠) « قاموس الكتاب المقدس » ٣٦/١ ورد ذكره في « التوراة » مرة أخرى باسم (حدار) محرراً .
(٢١) ذكرت في سفر التكوين ١٤/٢٥ وسفر أشعيا ١١/٢١ .
(٢٢) « تاريخ بغداد » ٤٦٨/٨ .
(٢٣) تحقيق الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش وانظر عن كتاب الفاكهي « العرب » س ٨ ص ٨٠١ إلى ٨٥٣ .
(٢٤) « العقد الثمين » ٤١٠/١ .
(٢٥) « أخبار مكة » ٤٧٨/١ إلى ٤٨٠ وصورة الكتابة ص ٨٦ في مقدمة القسم .
(٢٦) وهو الأستاذ م.ج. كستر M. J. Kister باللغة الانجليزية .
(٢٧) انظر عنهم « العرب » س ١٠ ص ٩٠٨ إلى ٩٤١ .
(٢٨) انظر عنه « العرب » س ١٨ ص ٢٨٩ وس ١٩ ص ٥٨٩ وقد نشره السيد حبيب عمود أحمد .
(٢٩) تحدثت عن كثير من تلك الرحلات في مجلة « العرب » .
(٣٠) « معجم البلدان » رسم (روض القطا) .
(٣١) مقدمة « معجم البلدان » .
(٣٢) « معجم البلدان » رسم (الخارجة) .
(٣٣) انظر ذلك في « العرب » ٧٧٣/١ .
(٣٤) الفت عن هذا العالم المغمور كتاباً معروفاً أغار عليه أحدهم فاختلس آرائي وادعاهها فـ (تدكر) .
(٣٥) هو ناصر خسرو ورحلته معروفة .
(٣٦) سورة الفتح الآية الـ (١٦) على تفسير ثلاثة من كبار علماء التابعين : الزهري وسعيد بن جبير وعكرمة
« جامع البيان » للطبري ط الحلبي ج ٨٣/٢٦ .

سطعت على القارة الافريقية فأضاءتها بنور الإسلام . . . وبعد ذلك التفاعل الحضاري بين العرب و (افريقيا) ، نُحس اليوم بأن القارة تنسحب مبتعدة عنا ، وأهلها ينفرون منا ، ومما يؤسف أن المسألة تتم بأيدينا لا بأيدي أعدائنا ، فنحن نهمل (افريقيا) ، ونهمل أشقاءنا هناك ، ونغفل عن دورنا ونتعامل مع الأفارقة بسلبية عجيبة ، وغفلة حتى عن مصالحنا الذاتية .

كل شيء بيننا وبينهم قد ضعف وضمحل ، وكل الجهود التي بذلها الرجال المخلصون ممن سبقونا إلى هناك أخذت تضيع هباءً ، وتذهب أدراج الرياح ، وفي هذا الوقت بالذات أخذت تتقدم القوى التنصيرية نحو (افريقيا) وتبدأ برامحها بفعالية ، ويشمر أبناءها عن سواعدهم لدحر الثقافة العربية الإسلامية ، ومحاولة القضاء على العقيدة الإسلامية في تلك البلدان ، ويستخدمون في سبيل ذلك كل إمكاناتهم المادية والبشرية ، ويعملون بصدق ومسؤولية وإخلاص ، فقد أصبحنا نشاهد آلافاً مؤلفة من المبشرين والمنصرين يتجولون في عواصم الدول الافريقية وقراها بل وحتى في غاباتها ، ويتحملون كل أنواع التعب والجوع والأمراض في سبيل الاتصال بهذه الشعوب والعناية بها ورعاية ابنائها وتعليمهم . كما سخروا إمكاناتهم الإعلامية والثقافية نحو هذه القارة ولم يياسوا ولم يتوانوا ، واستمروا في حملات متواصلة ، وقد نجحوا في آخر الأمر ، في إرساء قواعد صِغُرَتْ أم كبرت ، المهم أنهم حققوا الأهداف الأولى التي يخططون بها للانتقال إلى أهداف أكبر وأوسع ، وهي اجتثاث جذور الثقافة العربية والإسلامية من هذه القارة ، وتغريبها أو كما قال زويمر : (لا يهمني إدخال هاؤلاء في المسيحية بقدر ما يهمني إخراجهم من الإسلام) وهذا يصدق على كثير من الحركات التنصيرية التي توجهت بشراسة نحو اجتثاث العقيدة الإسلامية من نفوس الأفارقة .

ولكن هذا ما قاموا ويقومون به — إخلاصاً لدينهم ولعقيدتهم التي يعتقدونها — فإذا فعلنا نحن حتى في مقابل هذا الغزو؟ وماذا فعلنا لنعين هاؤلاء الأشقاء في المحافظة على دينهم وعقيدتهم؟

إن هذه المؤسسات المسيحية تفتح في كل يوم مئات المدارس ، وتبني مئات

الكنائس ، وتُعنى بالتعليم والتمريض ، وتنفق في سبيل ذلك في العام الواحد فقط خمسة بلايين دولار سنوياً في افريقيا ، وتطبع سنوياً ٥٠ مليون نسخة من الانجيل ولها (١٦٢٠) إذاعة تختص بنشر الانجيل فقط ، وجمعت لها من المستمعين ما يزيد على ٥٠٠ مليون مستمع ، في وقت يستحي فيه الإنسان ان يذكر عدد إذاعاتنا المهمة بنشر الدعوة الإسلامية ، والثقافة العربية ، والتي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة وبفعالية لا يعلمها إلا الله ، إذ يذيع هاؤلاء المنصرون بلغات مختلفة محلية ، يخاطبون فيها الافريقي بكل لغة محلية ، ويحرصون على الوصول إليه واختيار مايناسبه من كلام أو لحن أو مغريات ، ويذيعون في أوقات مناسبة لهم ، ويتجهون إلى تجمعاتهم في وقت تذيع فيه بعض إذاعاتنا برامجها والناس نيام في المناطق التي توجه إليهم ، إنها (الفعالية) وهاؤلاء القوم جادون في اجتثاث جذور الإسلام من العالم ، ولكنهم أحرص ما يكونون عليه في افريقيا .

إن الإفريقي المسلم أصبح في حيرة من أمره اليوم ، ومن أمر مستقبله ومستقبل أبنائه ، فقد نجح الغرب في فرض (علمانيته) على الدول الافريقية ، وجعل (الدين لله والوطن للجميع) وتحت هذا الشعار شمر الغرب المسيحي عن سواعده ، وأخذ يتوسع في بناء المؤسسات التعليمية التي لا يقبل فيها إلا أبناء المسيحيين ، أو من يتقبل أن يدرس الدين المسيحي ، وكثف جهوده حتى حرم أبناء المسلمين من الدخول إلى الجامعات ، وبالتالي قفل أمام المسلمين فرصة المشاركة في إدارة شؤون الحياة والبلاد ، وعزلهم ليكونوا في زمرة المتخلفين والرعا ، وجعل الصفوة من المتعلمين الذين يتخرجون في مؤسساتهم المسيحية هم الذين يملكون زمام البلاد في وقت غابت فيه الدول العربية والإسلامية ، واضمحل دورها وأصبحت محدودة (الفعالية) ليس لها إلا مراكز ومساجد بسيطة لا تسمن ولا تغني من جوع ، والحمد لله على أي حال ، أن هذه المراكز على ضعفها أبقت على جذوة الإسلام في نفوس الأفارقة ولو أن الفضل في ذلك ليس لهذه المراكز ، ولكنه لله عز وجل ثم لإخلاص هاؤلاء الأفارقة المسلمين الذين يعضون على دينهم بالنواجذ .

كلمة في (القحيف)

رأيتُ شيخنا العلامة الجاسر يُعنى بالقحيف (الخفاجي العُقيلي الكعبي العامري) عناية فائقةً ، فوقفتُ متأثراً خُطاه ، وقد نشر في مجلة « العرب » (ج ١٠/٩ س ٢٣ - الربيعان ١٤٠٩هـ) « شعر القحيف العقيلي » للدكتور حاتم صالح الضامن ، و « المجموع من شعر القحيف » للدكتور شاكر الفحام ، فقرأت المنشور فكانت هذه الكلمة من الملاحظات سعياً إلى الكمال الممكن ، بالتعاون المثمر ، ومثل هذا السعي يدعو إلى التنبيه على كل ما يتبادر إلى الذهن حتى ما كان خطأ مطبعياً منه ، أو كان هاجساً يمكن أن يؤدي النقاش فيه إلى الصواب .

وهذه هي الملاحظات ، وفي كثير منها ما يخرج عن دائرة المحقق ، وشرائط التحقيق إلى ما هو أوسع في شؤون اللغة والدراسة وتقليب الوجوه والاستحسان :

١- جاء في مقدمة الدكتور الضامن (ص ٦٠٣) : القحيف في مجاورته لإمرأةٍ من عَبَسِ ، وقد أقام عندها شهراً وهام بها عشقاً .
والصحيح : جاور بني عبس وأقام عندهم شهراً - والخطأ مطبعي بدليل وروده صحيحاً (ص ٦٠٨) .

٢- يُكثِرُ الدكتور الضامن ، في مقدمته من : القوم وقومه ، وهو يريد القبيلة وقبيلته وقصده سليمٌ ولكن الخشية أن يذهب القارئ المعاصر إلى شيء مما عرف

→ لقد أحسستُ وأنا أتجول في هذه الديار أنَّ خطراً كبيراً وعميقاً قد اُحْدق بالأشقاء من المسلمين في افريقيا ، وقد أُحْدق بنا كذلك فهؤلاء إخوتنا وهم عمقنا وهم عزوتنا ، وإذا لم نساعدهم لوجه الله تعالى ، وإذا لم نُؤدِّ واجب الإسلام فَلنُؤدِّ الواجبَ نحو أنفسنا ومستقبلنا ومصيرنا ، وإلا فسنقف أمام الله يسألنا عن هذا الإهمال ، وهذا الإعراض وهذا الضياع . وقد نُؤكَلُ كما أُكِلَ الثور الأحر

محمد عبده يمانى

بالقومية .

والدكتور الضامن نفسه يقول (ص ٦٠٦) : وعندما كانت تتصاعد في نفسه
سورة الفخر ، وتعلوهمته قدرات الاعتزاز ، كان شعره يأخذ اتجاهاً قومياً حاداً .
والحفيف عُقيلي يحارب حنيفة ، ويتشفى بقتلها . . والقبيلتان عربيتان من
قومية واحدة في المصطلح المعاصر أو الحديث . . .

٣- جاء في سياق ما بقي من شعره (ص ٦١١) المقطوعة الرابعة :

لقد مَنَعَ الفرائضَ عن عُقَيْلٍ بطعن تحت ألوية وضَرْبٍ
ترى منه المَصْدِقَ يوم وافى أَطْلَّ على معاشره بصَلْبٍ

وقد جاء في « الأغاني » ٨٩/٢٤ ، وقال أيضاً : ويروى لنجدة الخفاجي .
وتحسن هنا الإشارة إلى اختلاف النسب ، تحسن أو تجب . وقد فعل المحقق ولكنه
جعل الإشارة في الحاشية ، وفي هذا ما قد يضع حقيقة على القاري .

٤- جاء البيت (ص ٦١٢) :

تَحْمَلَنَّ من بَطْنِ الخُنُوقَةِ بَعْدَمَا جَرَى للثريا بالأعاصيرِ بَارِحُ

على أنه (١٠ أ) تليه (١٠ ب) وقافيتها : (أَرْوَحُ) ، مريح - على أن (أ)
(ب) وردتا في المصادر متفرقتين وهما في الأصل من قصيدة واحدة .
ولا يمكن أن تكون (بارح) و (أَرْوَحُ) رويًا واحداً وقافية واحدة في قصيدة
واحدة .

والأولى أن يكون البيت (١٠ أ) = (٩ ب) أي أن يُعد تابعاً للمقطوعة
السابقة عليه بالقوافي : روائح ، صائح ، مائح ، إذا كان لا بد من الإلحاق :

٥- في المقطوعة (١٧) - (ص ٦١٤) :

طَلَبْتِكَ ما طَلَبْتِكَ أمَّ عمرو ولم يعلم علينا الناس عارا

ورد البيت الخامس هكذا :

ولولا أَنَّيَ ما نظرتَ زَرَنْجَمُ إليَّ ولا أَعترفتُ لها منارا

ولا يستقيم البيت إلا بلفظه هكذا :

ولولا أنتِ ما نَظَرْتُ زَرَنَجَمَ

ولا معنى لهذا ، وكان المناسب الإخبار عن ذلك ، فقد يَحْتُ الشُّكُّ قارئاً على البحث عن الرواية الصحيحة .

٦- ورد البيت من المقطوعة (القصيدة) الـ (٢٠) - (ص ٦١٥) :

عُقَيْلٌ تَغْتَرِي وَبَنُو قَشِيرٍ تَوَارِي عَنْ سَوَاعِدِهَا الدَّرُوعِ
ويدلنا الشرح (ص ٦٢٠) على أن (تغتري) خطأ مطبعي ، صحيحه (تغتري : تقصد) قلت : لعلها (تعتري) بمعنى تعزوا نفسها إلى عُقَيْلٍ فخرأ بهم أو بشعارهم ، هو افتراض قد يؤيده مانص عليه محققو « الأغاني » حين ورد في نسختين : تعتري ، وإلّا فقد يَرَى راءٍ في (تغتري) معنى تغزو .

٧- جاء عن المقطوعة (القصيدة) (٢٣) (ص ٦١٥) :

دِيَارُ الْحَيِّ تَضْرِبُهَا الطَّلَالُ مِنْ الْخَافِي بِهَا أَهْلٌ وَمَالٌ ...

جاء : أن أبياتها عدا السادس والسابع في « طبقات فحول الشعراء » . ولو رجعنا إلى « طبقات فحول الشعراء » وجدنا المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر قد وضع البيتين :

نقود الخيل ...

تكاد الجن ...

- وهما الخامس عشر والسادس عشر في « المجموع » - بين عضادتين بمعنى أنها لم يكونا أصلاً في « الطبقات » التي بين يديه ، وإنما زادها عن مصادر أخرى .

٨- وورد البيت العشرون (ص ٦١٦) من القصيدة نفسها :

فَلَمَّا جُحِدِلْتُ مَثَانٍ مِنْهُمْ وَفَرَّ حَنَانُهُمْ عَنْهُمْ فَزَالُوا

وشرح (حنائهم) (ص ٦٢١) ، الحنان : أراد رئيس القوم الذي يلوذون

به .

وكان المناسب أن يذكر أن (حَنَائِهِمْ) هذه (وشرحها) من تصرف الأستاذ المحقق محمود محمد شاكر ، لأن الذي ورد في إحدى مخطوطتي « طبقات الشعراء » (وَفَرَّ جَبَائِهِمْ) وفي الثانية (جَنَائِهِمْ) ولم ير الأستاذ شاكر (فَرَّ جَبَائِهِمْ) مناسبة قال : (جَبَائِهِمْ) لا تصح (وَجَنَائِهِمْ) بفتح الجيم الجنان ، جنان الناس : أي معظمهم وكثرتهم ودهماؤهم . وآثرت ما أثبتت !

٩- البيتان (٣١) - (ص ٢٨) :

لقد لَقِيَتْ أفناءً بكرِ بنِ وائلٍ وهِزَّانَ بالبطحاءِ ضرباً غشمثا
إذا ما غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِبَةً هتكنا حجابَ الشمسِ أو قَطَرَتْ دما

أ- غشمثا : خطأ مطبعي صحيحه لدى شرح الكلمة (ص ٦٢١) والرجوع إلى مصادر البيتين : غشمثا .

ب- وقال عن البيت الثاني : قال الأمدي : أخذ هذا البيت بَشَّارُ فأدخله في قصيدته ، يريد الأمدي في « المؤتلف والمختلف » كما تشير مصادر المقطوعة ، وربما حسن أن يذكر اسم كتاب الأمدي « المؤتلف والمختلف » لدى التعليق ، خشية أن يذهب ظنُّ القارئ إلى أشهر كتبه لديه وهو « الموازنة » . حسن فقط .

١٠- بعد تسلسل القوافي : ل ، م ، جاءت المقطوعة : (٣٤)

- (ص ٦١٨) رضاها ، صفاها ، مناها ، متنهاها ، ثم المقطوعة (٣٥)

- (ص ٦١٨) : فتاها ، لحاها ، وَجَّاهَا ، على ما يفهم أنها هائيتان ، وهما أَلْفِيَّتَانِ (ملحقتان بهاء ...) .

١١- وجاءت المقطوعة (٣٦) - (ص ٦١٩) : ما يهوى ، ما يُروى ، على

ما قد يُفهم أنها يائية لورودها متأخرة ، وقد يرى راءٍ أنها ألفية - الألف المقصورة - .

والأصل في الألف أن تتبع قافية الهمزة أو تسبقها أحياناً ، وربما يجيء التأخير

تبعاً لنظام المعجمات التي تؤخر هذه الألفات على أن أساسها الواء والياء .
١٢ - لو اطلع الدكتور الضامن على ملاحظات الدكتور الفحام لأسقط البيت
(٣٠) :

فلولا السَّرِيُّ الهاشمي وسيْفُهُ أعادَ عُبَيْدُ الله يوماً على عُكْلٍ
فقد أثبت أنه لنوح بن جرير بن عطية بن الحُطَفَى ، وقد نقله الضامن عن
الجاسر عن كرنكو .

ومثله بيتان ميميان يؤلفان المقطوعة (٣٣) قال الدكتور الفحام : إنها لرجل
من حنيفة ، وذكر مصادره وقد أخذهما الضامن عن الجاسر عن كرنكو .
وذكر الدكتور الفحام - كذلك - أن البيتين في المقطوعة (٣١) يرويان
كذلك لرجل من بني هزان . ولا بأس في أن يفيد الدكتور الضامن من ملاحظة
الدكتور الفحام (ص ٦٣٣) فيشير إلى الاختلاف في نسب اللامية - ولو إشارة
فقط .

١٣ - تبقى ملاحظات تتصل بقواعد الشكل لدى التحقيق . فمناسب أن
نكسر الراء من (لا تعرضوا) (ص ٦١٠) ، ونضم العين من عَقَابِها (ونشرحها
فهي الراية) ونفتح الثاء من ثَمَّ (ص ٦١٢) والعين من العَفَاف
(ص ٦١٤) . . ونفتح الحاء والذال من الحَدَثَان (ص ٦١٤) .

أما (ركابُ) الواردة (ص ٦١٩) بضمه واحدة على الباء فصحيحها بضميتين
- ويمكن أن يعود الخطأ إلى المطبعة ومثلها (ربوع) (ص ٦١٤) . ووردت
(لجِي) (ص ٦١٦) بكسر اللام وهي تكسر وتضم .

١٤ - في المقطوعة (١٤) - (ص ٦١٣) :

سقى فَلَجَ الأَفْلاجِ من كل قَمَّةٍ ذِهَابُ تُرْوِيهِ دِمَاثا وَقُوْدًا

جاءت (قُمة) بضم القاف . وفي « القاموس المحيط » : (القمة بالكسر أعلى
الرأس وكل شيء (. . .) وبالضم ما يأخذه الأسد بفيه) . وفي « اللسان » :
(قال ابن برِّي : والقُمة بالضم ، المَزْبلة (. . .) الأصمعي : (القِمة قمة

الرأس وهو أعلاه . . .) ومنتظر أن يعود ضم القاف إلى الخطأ المطبعي .
١٥ - المقطوعة (٢٠) :

(أَمِنْ أَهْلِ الْأَرَاكِ عَفَتْ رُبُوعٌ ؟ نَعَمْ سَقِيًّا لَهُمْ لَوْ تَسْتَطِيعُ
زِيَارَتَهُمْ وَلَكِنْ أَحْضَرْتَنَا هُمُومٌ مَايْزَالُ لَهَا مَشِيعٌ . . .)

أَلَا حِظُّ اضْطِرَابًا فِي مَوْقِعِ (أَحْضَرْتَنَا) لِأَنَّ الَّذِي يَبْدُو أَنَّ الشَّاعِرَ يَرِيدُ زِيَارَةَ
أَهْلِ الْأَرَاكِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ زِيَارَتَهُمْ ، لِأَنَّ الْهُمُومَ مَنَعَتْهُ مِنْ ذَلِكَ .
و (أَحْضَرَ) لَا تَعْنِي مَنَعَ (وَالْحُضُورَ نَقِيضَ الْمَغِيبِ) .

والذي يفيد المنع هو الفعل (حَظَرَ) و (الحَظَرُ : الحَجَزُ) وَيَبْقَى بَعْدَ ذَلِكَ
- الْوِزْنَ - وَابْحَثْ عَنِ وُجُودِ (أَحْظَرَ) وَبِهَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ ، وَوَرَدَتْ (حَظَرَ
الشَّيْءِ وَعَلَيْهِ) وَلَمْ أَجِدْ فِي الْمَعَاجِمِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ : « لِسَانُ الْعَرَبِ » ،
« الْقَامُوسُ » ، « الْعَيْنُ » ، « مَخْتَارُ الصَّحَاحِ » ، « أُسَاسُ الْبَلَاغَةِ » - أَحْظَرَ .
المهم أن (أَحْضَرْتَنَا) الْوَارِدَةُ فِي الْبَيْتِ قَلْقَةٌ ، وَلَا بَدَّ مِنَ التَّنْبُّهِ إِلَى ذَلِكَ مَا لَمْ يَتَّخِذْ
القحيف حجة وصياغته (أَحْضَرْتَنَا) شَاهِدًا ، وَتَكُونُ (أَحْضَرْتَنَا) بِمَعْنَى مَنَعْتَنَا ،
وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِمَسْتَحِيلٍ . وَجَاءَ فِي : « اللِّسَانُ » : (رَجُلٌ حَظَرَ :
لَا يَصِلُحُ لِلسَّفَرِ) .

وتبقى مشكلة صياغة (أفعل) قائمة حتى لو قبلنا (حضرت) المتعدية :
(حضرت رَحَلِيَّ الْهُمُومُ) أي منعتنا من الزيارة هموم حضرتنا أي انتابتنا .
وَرُبَّمَا حَسَنَ أَنْ نَتْرِكَ أَحْضَرَ وَأَحْظَرَ لِنَنْظُرَ فِي أَحْصَرَ .

فقد جاء في « لسان العرب » : (. . . وَحَصَرَهُ . . . وَأَحْصَرَهُ ، كِلَاهِمَا :
حَبَسَهُ عَنِ السَّفَرِ .

وَأَحْصَرَهُ الْمَرِيضُ : مَنَعَهُ مِنَ السَّفَرِ أَوْ مِنْ حَاجَةٍ يَرِيدُهَا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ ﴾ . . .

وقيل : حَصَرَنِي الشَّيْءُ وَأَحْصَرَنِي أَي حَبَسَنِي (. . .) وَأَنْشُدُ لَابْنِ مِيَادَةَ :
وَمَا هَجُرُ لَيْلِي أَنْ يَكُونَ تَبَاعَدْتُ عَلَيْكَ ، وَلَا أَنْ أَحْصَرْتَكَ شُغُولُ

في باب فَعَلَ وَأَفْعَلَ . وذكر « اللسان » روايات عن يونس وأبي عبيدة وابن السكيت وأبي اسحاق النحوي وغيرهم وفيها (حَصَرَ وَأَحْصَرَ) (وأصل الحَصْرِ والإحصار : المنع) - وهنا يكون صحيح (أحضرتنا) : أحصرتنا - وقد وقع التصحيف في الرواية .

١٦ - في المقطوعة (١٧) :

... فلما أحدث الحَدَثَانُ أمراً وَجَدَّ الجبلُ فانجزر انجزارا
وأرى الصواب في (حَدَّ) : جُدَّ . وفي المعجم : (الجُدُّ ؛ القطع ...
وجذذت الجبل جُدًّا فانجذ أي قطعته) .

ويزيد من هذا الوجه (فانجزر انجزارا) والجزر هو القطع ، وجزر الشيء :
قطعه .

١٧ - في المقطوعة (٢٣) :

أما وَمُعَلِّمُ التوراة موسى وَمَنْ صَلَّى وصام له بلالُ
وردت (مُعَلِّمٌ) بفتح اللام ، وأرى الصواب - كما وردت في « طبقات
الشعراء » ورواية الجاسر - كسر اللام ، فمعلم التوراة موسى هو الله ، وهو هو
(من صلى وصام له بلالُ) .

١٨ - في المقطوعة (٢٤) :

كَأَنَّ الأَيْمَنِينَ بني مُعِيرٍ وإيانا وقد حَسِرَ القتال
وردت (الأَيْمَنِينَ) على المثني ولعلها (الأَيْمَنِينَ) على الجمع ، ووردت (حَسِرَ)
بفتح الحاء وكسر السين ، ولعلها بضم الحاء ...

١٩ - في المقطوعة (٢٣) :

ديارُ الحَيِّ تَضْرِبُهَا الطَّلَالُ من الخافي بها أهلٌ ومالُ
وأجذم ذُبُّها عوداً وبدءاً بدفيه تعبقرت السِّخَالُ

أ - جاء في الشرح : (الطلال جمع ظل وهو مطرٌ صغار القطر) والمحقق يتابع الأستاذ محمود محمد شاعر ، فإذا كانت (الطلال) صغار القطر فكيف يتم انسجامها مع الكلمة السابقة (تضرب) ؟ وفي هذا ما يدفع إلى رؤية القلق في كلمة (الطلال) أو في معناها .

ب - قال المحقق أن : (الأبيات في « طبقات الشعراء » والحقيقة أن صدر البيت الثاني من تصرف الأستاذ محمود محمد شاعر ، وليس من رواية محمد بن سلام ، لأن رواية المخطوطتين المتيسرتين من « طبقات الشعراء » تقولان : (أجزع ربما عوداً وبدءاً) ولكن الأستاذ شاعر لم يجد له معنى فتصرف . وصحيح أن الذي ورد في المخطوطتين لا معنى له ، ولكن الصحيح كذلك أن ننسب التصرف إلى الشيخ شاعر لثلاثين ينسبه القارئ إلى القحيف نفسه .

٢٠ - المقطوعة (١٦) - (ص ٦١٣) :

نظرت خلال الشمس من مشرق الضحى ووافيت من كتمان ركننا عَطُودًا
بِعَيْنَيْنِ لَمْ تَسْتَكْرِهَا يَوْمَ غُبرة ولم تهبطا جوف العراق فترَمَدًا
إلى ظُغْنٍ لِلْمَالِكِيَّاتِ بِالضْحَى فيالك مرأى ما أشاق وأبعدًا

يكفي - ويرمز - بهذا إلى بعد ظُغْنِ المالكيات عنه ، فهو لم يرها إلا بِشَقِّ النفس على الرغم من أنه نظر إليها خلال الشمس من مشرق الضحى - في وضوح النهار - وبعينين سليمتين . وكلمة (ما . . . أبعدا) في قافية البيت الثالث في مكانها المناسب للدلالة على بعد المسافة وإذا كان المقصود بـ (أشاق) : الشوق ، وبـ (ما أشاق) : شدة الشوق فهو أولى ألا يكون مناسباً مع البعد و (ما أبعدا) - حتى لو قبلنا صيغة ما أشاق للتعجب من شاق ، والمناسب لـ (ما أبعدا) : ما أشق . وفي « اللسان » : (الشُّقَّةُ والشَّقَّةُ : السفر البعيد (. . .) الأزهري : والشَّقَّةُ بُعْدُ مسير إلى الأرض البعيدة . قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ ﴾ . وفي حديث وفد عبد القيس : إنا نأتيك من شقة بعيدة أي مسافة بعيدة ، والشقة أيضاً السفر الطويل) .

وعلى هذا يمكن أن يكون الأنسب في رواية البيت الثالث (. . . ما أشقَّ

وأبعدا) ثم يستحسن ضبط تستكرها : تُسْتَكْرَهَا ، وتهبطا : تَهْبِطَا . كما يستحسن وضع (كتمان) بين أهله (كتمان) للدلالة على انه اسم موضع ويضم الكاف كعثمان . ترى ماذا تكون (الضحى) التي وردت مرتين ؟ أما يمكن أن تكون اسم موضع كذلك ؟

٢١- البيت الثاني من المقطوعة (١٨) - (ص ٦١٤) :

أُمَّ ابْنِ إِدْرِيسٍ أَلْمُ يَأْتِكِ الَّذِي صَبَحْنَا ابْنَ إِدْرِيسٍ بِهِ فَتَقَطَّرَا
فَلَيْتِكَ تَحْتَ الْخَافِقِينَ تَرَيْنَهُ وَقَدْ جَعَلْتَ دَرَعًا عَلَيْهَا وَمِغْفَرًا
لعل المناسب في (عليها) : (عليه) كأن الضمير يعود على (ابن إدريس) .

٢٢- المقطوعة (١٩) يرثي يزيد بن الطُّثْرِيَّةِ (ص ٦١٤) :

إِنْ تَقْتُلُوا مِنَّا شَهِيدًا صَابِرًا
فَقَدْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ مَجَازِرًا
عَشْرِينَ لَمَّا يَدْخُلُوا الْمَقَابِرَا
قَتَلَى أُصِيبَتْ قُعُصًا نَحَائِرَا
نُفْجًا تَرَى أَرْجُلَهَا شِوَاغِرَا

أ- مناسب أن نذكر ماورد في «الأغاني» (١٨٢/٨) عن الكلمة الأولى من الشطر الخامس فقد وردت في «المتن» : (نعجاً) ، وجاء في الحاشية : كذا في أكثر الأصول ولعله : (نَعَجَى) جمع نَعَجٍ كَزَمِينٍ وَزَمْنَى ، ونعج الرجل رَبَا وانتفخ ، وذلك ملحوظ في الميت بجلاء . وفي ب وس نفجاً - بالفاء . وشواغر مرفوعات . أقول لم لم يبق تحقيق «الأغاني» (نعجاً) في «المتن» ومعنى النَّعْجُ : الانتفاخ ، ويمكن أن يكون بعد ذلك في اللغة أنعج ونعجاء ، فنحن نأخذ من القحيف ولا نفرض عليه .

ب- جاء في التحقيق : نفجاً من الانفتاح ، وهو الارتفاع . شواغر : مرفوعات .

ج- وسواء أكانت نفجاً أو نعجاً فالمعنى المناسب - إذا عادت الكلمة

(لقتلى) وليس (لأرجلها) - هو الانتفاخ (دون حاجة إلى الارتفاع ، لاسيما إذا شرحنا شواغراً بمرتفعات) .

د - وربما كان الأنسب شكل ترى : (تُرى) دون تركها بغير شكل أو شكلها كما ورد في « الأغاني » بفتح التاء ، ومن ثمَّ تشكل لأم أرجلها بالضم وليس بالفتح .

هـ - مقبول شرح (شواغر) بمرتفعات . وهذا قد يفترض أن الجثث (العشرين) ملقاة على ظهورها ليس فيها المنكب على وجهه ، مقبول . ولكن أما يمكن أن تعني (الشواغر) مقطعات مكانها خال منها ؟ وفي « اللسان » : (شغرت الأرض والبلد أي خلت من الناس . . .) وهذا قد يدعونا إلى نقل نفجاً من القتلى إلى الأرجل ، ولدينا في (الإنفاج) معنى الإبانة أي الإبعاد ثم إن الجثث عرضة للضواي تهشها وتقطعها ، وقد ترجع (أرجلها شاغرة) إلى مصطلح . فقد جاء في « اللسان » : (يقال : بلدة شاغرة برجلها إذا لم تمتنع من غارة أحد) .

٢٣ - البيت (٢١) - (ص ٦١٥) :

تبيتُ مع الأزلامِ في رأسِ حاليِّ وترتأدُ مالم تحترزه المخاوف
مصدره : « تهذيب اللغة » ٢١٩/١٣ ، « اللسان » و « التاج » زلم .

ولكن الذي في « اللسان » مثلاً : وقال قحيف :

يبيتُ مع الأزلامِ في رأسِ حاليِّ ويرتادُ مالم تحترزه المخاوف
و « التهذيب » داخل في « اللسان » .

والذي في « التاج » مثله : (أبو عمرو وأنشد لقحيف : يبيت . . . ويرتاد) .

٢٤ - شرح مفردات الأبيات ليس ضرورة لازمة في عمل المحقق ، ولكن :

أ - الشرح ، شرح المفردات ، نافع دون شك ، وهو يدخل في قاعدة أن التحقيق قد يُحسَّن ويُسهل تقديم الأصل ، على ألا يُبالغ في الشرح .

ب- إن المحقق وهو يبحث عن شرح المفردات في المعجمات (وغيرها) قد يقع على ما يصحح رواية بين يديه ، دخلها التصحيف أو التحريف أو التزوير . . . وقد يكشف الخلل ويشير إليه في الأقل ، وقد يضبط بالشكل ما لم يرد مشكولاً وبه حاجة إلى الشكل .

ج- أما إذا وجد في الأصل الذي ينقل عنه شرحاً أو مكاناً للشاهد فإن ذلك يزيد في دواعي نقل الشرح أو مكان الشاهد ، ويسهل العمل على المحقق والقارئ .

فهنا مثل هذا البيت الذي جاء في « اللسان » (زلم) نقرأ في « اللسان » :
(. . .) والزَّلماء الأرويةُ ، وقيل : أنثى الصقور ، كلاهما عن كُراع (. . .)
أبو عمرو : الأزلامُ الوبار ، واحدها زلمٌ ، وقال قحيف : بيت مع الأزلام في رأس حائق (. . .) .

وفي (وبر) : (الوبرُ بالتسكين : دُوَيْبَةٌ على قدر السنور (. . .) من دواب الصحراء (. . .) تكون بالغور ، والأنثى وَبْرَةٌ بالتسكين والجمع (. . .) وِبَار (. . .) .

ويبدو لي أن الذي قاله كُراع أكثر اتساقاً مع قول قحيف بدليل (رأس حائق) على حين تكون الوِبَار في الصحراء والغور ، فالأزلام هناك على مرتفع ، وهي هنا في منخفض .

ومن الكلمات التي يحسن بيان معناها : النَّيُّ ، مبهترات ، السَّنَوْرَا ، فروع ، ذِيَال ، الرُّخَال ، مُرْعَى . . .

رجعتُ - مثلاً - إلى « لسان العرب » في (سنر) فوجدت فيه : (. . .) السَّنَوْرُ : جملة السلاح ، وخص بعضهم الدروع . أبو عبيد : السَّنَوْرُ الحديد كله (. . .) والسَّنَوْرُ : لَبُوسٌ من قَدِّ يُلبَسُ في الحرب كالدرع (. . .) .

فإذا عرفنا هذا ، وعدنا إلى البيت الرابع من المقطوعة (١٨) (ص ٦١٤) :
وكيف تُريدون العقيق ودُونَهُ بنو المُحصَنَاتِ اللابساتِ السَّنَوْرَا

رأينا الرجال - وهم هنا - بنو المُحصَنَات أولى بلبس السَّنُورَا (وهي جملة السلاح) من المحصنات (أي النساء) . . . وأمكن - حينئذ أن نصحح رواية (اللابسات) أو نثير الشك فيها لتكون : اللابسين ، بنو المُحصَنَات اللابسين السَّنُورَا .

٢٥ - إن كثيراً من الملاحظات التي وردت - أو ترد - بشأن « شعر القحيف العقيلي » بتحقيق الدكتور حاتم الضامن يمكن أن ترجع إلى أن التحقيق حيث أعادت « العرب » نشره ، نشر كما عُمِلَ أول مرة (أيلول ١٩٨٦م) أي أن الأستاذ المحقق لم ينظر فيه مُجدِّداً نظراً لتعديلٍ وزيادة ، اعتماداً على ما جدَّ له من البحث بعد النشر ، وعلى ما يمكن الإفادة من نشر الدكتور الفحام .

٢٦ - ورأيت الدكتور الفحام يقف عند نسب الشاعر ، وفي الوقفة ما يتمم التحقيق والدراسة ، فهو (القحيف بن خُمير بن سُليم النُدَى . . . ابن خفاجة بن عمرو بن عُقَيْل . . . ابن عامر . . .) .

وفي إثبات هذا النسب والإحالات الواردة عليه مايزيل لبساً يعترى قارئاً أو مايصحح خطأ ورد في مصدر .

(وتصحف خُمير حيناً إلى خُمير بالحاء المهملة ، وتحرف حيناً إلى عُمير) ولهذا التنبيه فائدته وإلاً فقد نرجع - على عَجَلٍ ، وثقة - إلى « القاموس المحيط » فنقرأ : (. . . وكزُبَيْرُ ابن عُمير بن سليم النُدَى شاعرٌ) فنتهي إلى أن اسم أبيه : عُمير ، وماهو كذلك . وقد نبه الثقات على الخطأ فجاء في « تاج العروس » : (. . . وصوابه ابن خُمير بالحاء المعجمة كما نص « العُباب » . . .) وهو في العُباب (ابن خُمير) . . . وملاحظة أخرى ترينا أن (النُدَى) قد تأتي على : البدي بالباء الموحدة وتشديد الياء .

والعودة إلى « تاج العروس » و « العُباب » الذي يحيل عليه - كما عاد الدكتور الفحام - تدلنا على مصادر أخرى - غير « الخزانة » و « شرح أبيات مغني اللبيب » . فقد قال الصاغاني (« العباب » حرف الفاء) : رأيت بخط محمد بن حبيب في أول ديوان شعر القحيف . . . ويعني هذا - بوضوح - أن ديوان

القحيف كان في القرن السابع ، رآه علامة ثقة من أعلامه وينظر كذلك « العُباب » حرف الطاء . والرؤية غير النقل عن النقل – كما ذكر الدكتور الفحام بهذا الصدد .

٢٧ – ولدى العودة إلى « العُباب » حرف الطاء (بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين) نجد رواية البيتين الواردَيْن لدى الدكتور الضامن في المقطوعة (٢٦) (ص ٦١٧) :

وفي الصَّحْصَحِيِّينَ الذين ترحلوا كواعبُ من بَكَرٍ تُسَامُ وتُجَبَّلَا
أُخِذْنَ اغْتِصَابًا خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وأمهرنَ أرماحاً مِنَ الخَطِّ ذُبَلًا
نجدهما في « العباب » :

وفي الصحصحيين الموليين غُدْوَةً كواعب من بكرٍ تُسَامُ وتُجَبَّلَا
أُخِذْنَ اغْتِصَابًا خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً

ورواية « العباب » جديرة بالإشارة والأخذ منها – في الأقل – بكلمة (خُطَّة) لأنه أورد البيتين لمناسبتها .

٢٨ – وتبقى كلمة (القحيف) اسماً علماً للشاعر ، وقد وردت معرفة بالألف واللام في مصادر كثيرة معتبرة منها « طبقات » ابن سَلَّام .

وأحسب أن الطبيعي أن الأصل فيما كان عليه الشاعر في قومه بدون الألف واللام فهو « قحيف » ورأينا « القاموس » : يقول كَزُبَيْرٍ . . . ونراه في « اللسان » قُحَيْفًا كذلك : (وقُحَيْفُ العامري : أحد الشعراء ، وقيل : هو قُحَيْفُ العقيلي كذلك نسبه أبو عبيد في مصنفه) .

مع أن صاحب « اللسان » أوردَهُ منكرًا (قحيف) في (قحف) و (زلم) ، وأوردَهُ مُعَرَّفًا في مواضع : (حدرج – رجع – رعل – مهل – غشم – رضي – قوي) وتبعه صاحب « التاج » فيما أوردَهُ من شواهدِهِ – [ويحسن الرجوع إلى شواهدِهِ للاستزادة والمقابلة] .

٢٩ – وكان من المناسب أن ترد في المقدمة الإشارة إلى ما ذكره كرنكو وأعادَهُ

الدكتور الفحام (ص ٦٢٥ من العرب ٢٣) من وجود قحيفين : قحيف العقيلي صاحبنا ، وقحيف العجلي صاحب أربعة أبيات عينية ذكرها كرنكو ناصاً على نسبتها إلى العجلي .

٣٠ - إن المقطوعة - أو القصيدة - اللامية (٢٥) ص ٦١٧ من المجلة ترينا أن قحيف كان ابن أربعين في حجته تلك ، وقد طلعت أول الشيبات ، وفي الأبيات ما قد يدل على ما هو أكثر من أول الشيبات ، وأنه كان قبل الحج في الأقل - يهيم بالخمير . . .

وإذا كان القحيف ممن اشتهر بِتَشْبِيهِه بِخِرْقَاءِ التي كان ذو الرمة يُشَبُّ بها ، فمعنى ذلك أنه شبب بها في شبابها وشبابه وإذا علمنا أنها أرسلت إليه جَرِيئاً (ص ٦١١) وقد جاوزت تسعين سنة أمكن أن نرى في ذلك تَعْمِيراً لقحيف كذلك .

٣١ - الدكتور الضامن ثقة في الرجوع إلى مصادره ، وإنه ليملك منها ما لا يكاد يملكه غيره ، ولكنه لا يستكمل التعريف بها لدى التخريج ، وكأنه يعتمد على علم القارئ ، والمفروض في قراء شعر القحيف أن يكونوا من العلماء ، والمفروض صحيح ولكن العلماء لا يعلمون كل شيء ، ثم لم نَحْرِمُ عامة القراء من العلم ، وإذا كان « الأغاني » و « معجم البلدان » و « لسان العرب » . . . من الكتب المتداولة فأنى لهم العلم - مثلاً - بـ « الفصوص » و « المكاثرة عند المذاكرة » .

٣٢ - وحين نعود لجمع الأستاذ الجاسر المنشور في السنة الأولى من مجلة « العرب » الجزء الخامس والسادس نعلم أشياء منها أن القحيف (كان يقيم في العقيق المعروف الآن باسم وادي الدواسر) .

ونلاحظ أن الشيخ الجاسر رتب مجموعته على حروف المعجم (للقوافي) وجاءت (فتاها . . .) في رأس المجموع على أنها من (الألف المقصورة) : فتي . . . على حين وردت في مجموع الدكتور الضامن - كما رأينا - في المؤخرة من المجموع .

والشيخ الجاسر من يضع أسماء الأعلام (المواقع بخاصة) بين قوسين ، ولكنه لم يلتزم ذلك أحياناً ، فقد جاءت (كُتْمان) غير مقوسة . ويبقى السؤال ممكناً عن (الضحى) : فيما قد يبدو اسم موقع . . . وليس مستغرباً أن يسمى موقع (الضحى) فقد ورد مثل ذلك في (اليمن) مما نص عليه «القاموس» .
ونفيد من الشيخ الجاسر عن حياة قحيف (أن الوقعات التي حدثت بين بني حنيفة وبين قومه كانت سنة ١٢٧هـ) .

٣٣- في عود إلى (مابقي من شعر قحيف) نراه في مجموعته متوسط الطبقة ، ولولا ذلك لما جاء في «طبقات ابن سلام» ، أما أن يجيء في الطبقة العاشرة من الإسلاميين فهو رأيي ، ورأيي ممكن ، ويتسق معه رأي الأمدئي - في «المؤتلف والمختلف» حين قال : إنه (شاعر محسن) .

ومقطوعاته التائية جميلة سلسلة فيها من معاني العاطفة الإنسانية مافيهما ، فضلاً عن دلالتها على مجتمع وعلى أطوار شاعر . . . :

خليلي ماصبري على الزفراتِ	وما طاقني بالشوق والعبراتِ
سقى ورعى الله الأوانسَ كالذمي	إذا قمن جُحَّ الليل مبتهراتِ
إذا مسن قدام البيوت عشيّة	قصار الخطى يرقلن في الحبراتِ
دعون بحبات القلوب فأقبلت	إليهن بالأهواء مبتدراتِ
تقطع نفسي كل يومٍ وليلة	على إثر ماقد فاتني حشراتِ

قلت : إنسانية وكان في الذهن (حضرية) ولكن من يمنع البدو من مثلها؟ ومن يمنعها في (فلج الأفلاج) ، وقلت : سلسة وإنها لكذلك (في بحرهما الطويل) وعلى الرغم من (سقى و) ولا غرو أن احتل بيتان منها (الأول والأخير - بعد أن صارت تقطع : تساقط) (صوتاً) في «الأغاني» .

والقافية والوزن والرنة والهمس . . . كل أولئك يذكّر بمقطوعة معاصرة لها . . . قالها محمد بن عبدالله بن نعيم الثقفي مشبباً بزینب بنت يوسف أخت الحجاج ، مع علمه بسطوة الحجاج وانتظاره بطشته - والعصر عصر عمر بن أبي ربيعة :

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ
 مَرْرًا (بِفَخٍّ) ثُمَّ رُحْنٌ عَشِيَّةً
 تَضْوَعُ مِسْكَاً بَطْنُ (نَعْمَانٍ) أَنْ مَشَتْ
 وَقَامَتْ تَرَأَى يَوْمَ (جَمْعٍ) فَأَقْتَنْتُ
 وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ
 دَعَتْ نِسْوَةَ شَمِّ الْعَرَابِيِّينَ بُدْنَاءً
 فَأَذْنَيْنِ لَمَّا قُمْنَ يَحْجِجْنَ دُونَهَا
 أَحَلُّ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَرْشُهُ
 يُجْبِئُنَّ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى

وردت المقطوعة في «كامل» المبرد، وجاءت (معتجرات) في رواية مكان
 (مختمرات).

ونعود إلى أبيات قحيف ليخبرنا المحقق أن (مبتهرات) التي وردت في
 «الحماسة الشجرية» وردت على (مُبتهرات) في «الزهرة».

٣٤- يقول الأصمعي في «فحولة الشعراء» عن القحيف: (ليس بفصيح
 ولا حجة) وعلق الدكتور الفحام على ذلك فقال: (ولعل الأصمعي قسا عليه
 حين سُئل عنه فقال . . .) وربما أورد الدكتور الفحام كلمة (لعل) ليخفف من
 المسؤولية في حساب لغوي كأصمعي، وإلا فقد قسا الأصمعي - بدون لعل:
 وإلا فكيف يكون الحجة؟

واستشهد اللغويون بشعرٍ لقحيف - على الرغم من قولة الأصمعي تلك،
 ومن ذلك قوله في المقطوعة (٣٤):

إِذَا رَضِيَّتْ عَلِيٌّ بَنُو قَشِيرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

قال الدكتور الضامن: هو من شواهد النحو المشهورة على أن (على) بمعنى
 (عن) وخرجها من أكثر من عشرة مصادر في النحو واللغة. وقال الدكتور
 الفحام: (ويرى أبو العباس المبرد أن بني كعب بن ربيعة بن عامر يقولون:
 رضي الله عليك. ومعلوم أن القحيف من (كعب بن ربيعة بن عامر . . .)

ولا بأس أن أذكر أننا والنساء منا بخاصة في العراق نقول : في مدينة الحلة
- مثلا) : الله يرضى عليك ...

وورد البيت في « الجمهرة » ٤٩١/٣ شاهدأ على (عليّ ... أي عنيّ ...
ويروى بنو نمير ، وبنو تميم وبنو قشير) ، أترى اختلاف القبائل يعود إلى تصرف
الذي يستشهد بالبيت وهو يريد بني نمير ، أو بني تميم . واستشهدوا بالبيت الرابع
من القصيدة نفسها :

فما رجعت بخائبة ركابٌ حكيمٌ بن المُسيَّبِ مُنتَهَاها

فقال الدكتور الضامن : (هو من شواهد النحو على أن الباء قد زيدت في
الحال المنفية) - (زيادة الباء في الحال المنفية عاملها - كما قال الدكتور الفحام ،
لأن العام أن يقال : (فما رجعت خائبة ركاب ...) ولا نقول - هنا - مع
الأصمعي - إن القحيف ليس حجة ، فما كان له في قبيلته وعصره أن يقول مالم
يكن قد سمعه ونشأ عليه من القول ، وإلا لضحك به الصغار قبل الكبار .

ورأينا في المعجمات ما استشهد بالقحيف ، ومن ذلك : زلم ، غشم ...
والقحيف حاضر غير منكور في كتب الثقات من علماء اللغة .

٣٥ - ألا إن الذي ورد إلينا من شعر القحيف سليماً على وجه موثوق بروايته
ليصلح مادة لدرس لغوي ، وأذكر من استعمالاته في المقطوعة (٥) (قتلى إذا
التقت عليها ضباع الغيل باتت وظلت) للفرق بين بات وظل وفيها : ائمهلت .

وفي المقطوعة (٦) : (ولو عُمِرَّتْ تَعْمِيرُ نُوحٍ وَجَلَّتْ) : جلّ بمعنى زاد
على .

وفي المقطوعة (٧) :

فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رَسَالَةً وَأَفْنَاءَ قَيْسٍ حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَّتِ
بَأَنَا تَلَاقَيْنَا حَنِيفَةً بَعْدَمَا أَغَارَتْ عَلَى أَهْلِ الْحِمَى ثُمَّ وَلَّتْ

فنقول - بعده مثلاً - : تلاقت عَقِيلٌ حَنِيفَةً ، كأننا نقول تلاقت عَقِيلٌ وحَنِيفَةً
أو لاقت عَقِيلٌ حَنِيفَةً ، وصحيح أن وَلَّتْ : تعني ذهبت ، ومضت ، واتجهت

راجعة ، وانصرفت ، وبعدت ولكنها قد تعني ماهو أكثر من ذلك متضمنة الاحتقار والازدراء (كما هي اليوم في عاميتنا العراقية) فلقد ولَّت حنيفة مهانة مدبرة هرباً وجبناً وخوفاً .

ونعود إلى المقطوعة (٣٤) لنلاحظ أن (أعجبي رضاها) يختلف قليلاً – أو كثيراً – عن استعمال (أعجبي) في هذه الأيام حيث يرد أكثر مايرد الإعجاب بالجمال ... أما استعمال القحيف ففيه سَرْنِي ، وماهو أكثر مما يقترب من قولنا : شَرَّفني – وبالكلمة حاجة إلى وقفة خاصة .

وفي المقطوعة (١٢) (العوائل) : جمع عقيلة ، الأصل فيها للإيل ، كرائم الإيل ... ومن ثَمَّ صارت لكرائم النساء .

وفي المقطوعة (١٤) : استعمال للأنيق صفة للمنظر : ... (به نجد الصيد الغريب ومنظراً أنيقاً) .

وفي المقطوعة (١٥) : تأبدا ... رَبِيعٌ تَأَبَّدَ ...

وفي المقطوعة (١٧) : الأجنبي الذي ليس من القوم : (مررت أمام بيتك أجنبياً) غريباً ، كأني لست من القوم .

وفيها : (ولولا أنتِ ...) بدلاً من لَوْلَاكِ .

وفي المقطوعة (٢٥) :

أعيني مهلاً طالما لم أقل مهلاً وماسرفاً مِ الآن قلت ولا جهلاً والشاهد في (م الآن) . وفيها : (يقول لي المفتي : تق الله ...) يريد : إتق الله .

وفي المقطوعة (٢٩) :

عائت في العقيق بنو قشير كَعَيْثِ جَعَارِ فِي أُخْرَى الرُّخَالِ
خنائى يأكلون التمر ليسوا بسزوجاتٍ يلدن ولا رجالِ

ونترك – ولو مؤقتاً – مافي البيت الأول من (خرم) وما يمكن أن تكون

لـ (يأكلون التمر) من كناية ودلالة هجاء – ونرى في البيت الثاني شاهداً على (خنثى) جاء في « اللسان » : (الخُنْثَى ، الذي لا يخلص لذكر ولا أنثى ، وجعله كراع وصفاً ، فقال : رجلٌ خُنْثَى : له مال للذكر والأنثى ، والخُنْثَى : الذي له مال للرجال والنساء جميعاً ، والجمع خَنَائِي ، مثل الحَبَالِي) .
إلى هنا والشاهد متسق على (خنثى) .

ولكن « اللسان » يزيد على (والجمع . . .) خِنَاث . ولا بأس ولكنه يروي بيتاً ، لا ينسبه هكذا :

لعمرك ما الخِنَاثُ بنو قشير بنسوانٍ يَلِدْنَ ، ولا رجال !
وقد أشار الدكتور إلى الرواية الثانية هذه في « اللسان » ولكنه لم يثبتها .
ويبقى الشاهد في الحالين (خُنَائِي) وخِنَاث قائماً – والملاحظ أن خُنْثَى ترد للرجل فلم يقل « اللسان » : (. . . التي . . .) أو (فقال امرأة خُنْثَى . . .) .

وتستعمل عامية العراق فلان مُحَنَّتْ تريد : جبان ، وقد تزيد فتقول : خُنَيْثَة ، وتستعمل الفعل : خَنَّتْ مُتَعَدِّياً : خَنَّتْهُ أَي أَخَافَهُ وتركه جباناً .
وفي المقطوعة (٣٢) :

عَشِيَّةً جَاءَتْ مِنْ عُقَيْلٍ عِصَابَةٌ تَقَدَّمُ مِنْ أَبْطَالِهَا مِنْ تَقَدُّمًا
ما يرينا أن (عصابة) التي نستعملها اليوم ذمًّا وللشر ، لم تكن كذلك من قبل . أما كلمة (الأبطال) المترددة كثيراً في أيامنا فقد كانت أيام القحيف بمعناها في المديح .

وفي البيت الثاني من المقطوعة (٢٣) : (تعبقرت) لمن يبحث عن تاريخ كلمة (عبقر) .

وفي المقطوعة (٢٤) : (صَيْفٌ) وهو يذكُرُ يَوْمَ (الشَّشَانِشِ) :
. . . كَانَ الْإِيْمَنِيْنَ بِنِي تُمَيْرٍ وَإِيَانَا وَقَدْ حَسِرَ الْقِتَالُ

سحابة صَيْفٍ للبرق فيها زفيفٌ ليلة اختبأ الهلالُ
تبدو (صَيْفٍ) لنا - وهي مشددة الياء - وكأنها نزول على الوزن ، وماهي
كذلك جاء في « اللسان » : (الصَّيْفُ المطر الذي يجيء في الصيف) وهي في
شعر القحيف تسند رأي ابن بري في رده على الجوهري . جاء في « اللسان » :
(قال الجوهري : الصَّيْفُ) المطر الذي يجيء في الصيف ، قال ابن بري .
صوابه الصَّيْفُ بتشديد الياء) وجاء : (ويقال : أصابتنا صَيْفَةٌ غزيرةٌ بتشديد
الياء) .
أترى القحيف يريد أن القتال كان شديد (غزيرا) .

وفي المقطوعة (٢٠) :

كأن البينَ جرْعني زُعافا من الحياتِ مطعمه فظيع
أحلَّ القحيف الوصف محل الموصوف لأن الأصل : (جرْعني سَمًّا زُعافا)
رواية الدكتور الضامن عن « الأغاني » ورواية الشيخ الجاسر عن « معجم
البلدان » : (. . . . دم الحياتِ مطعمه فظيع) ويمكن أن يكون (دم الحياة) على
هذه الرواية : سَمُّها .

وفي المقطوعة (٢٦) :

أتعرفُ أم لارسمَ دار مُعْظَلًا من العام يمحاه ومن عامٍ أولاً
قطارٌ وتارات خريقٌ كأنها مُضِلَّةٌ بَوُّ في رَعِيلٍ تعجلا
أ - يمحاه - المألوف لدينا : يمحوه ، وكان لا صيغة غيرها . . وهذه صياغة
يعتمد عليها صحيحة : محا يمحي يمكن أن تدرس مرتبطة بقبيلة القُحيف . . .
وصيغة ثالثة يذكرها المعجم هي يمحيه ، وهي المستعملة في عامية العراق .
[العرب : وصيغة (يَمْحَاهُ) لاتزال هي المستعملة في نجد] .

ب - في البيتين تضمين : ولا أدري سر إلحاح العروضين على إسناد العيب إلى
التضمين حين يُعَلِّقُ بيتُ تالٍ بيتِ سابقٍ ، فقد جاء الفعل والمفعول به في البيت
الأول والفاعل (قطار) في البيت الثاني .

وللقحيف تضمين آخر في مطلع المقطوعة (٢٠) :

أمن أهل الأراكِ عَفَّتْ رُبُوعٌ ؟ نعم ، سقيا لهم لو تستطيعُ
زيارتهم

وتضمن آخر في القصيدة (٢٠) للبيتين السابع والثامن (فلما بدت ...
صبحناها ..) كما يمكن أن يكون التضمن في الخامس والسادس .

ونعود إلى القصيدة (٢٠) ص ٦١٤ - ٦١٥ لنقرأ :

وماءٍ قد وردتْ ، على جَبَاهُ حمائمٌ حائمٌ وقطاً وقوعٌ
جعلت عمامتي صلةً لذلويِّ إليه حين لم ترد النسوعُ
لأسقي فتيةً ومُنقباتٍ أضر بنقيها سَفْرٌ وجيعُ
ركبناها سمانتها فلما بدت منها السناسن والضلوعُ
صبحناها السَّياطُ مُحذرجاتٍ فَعَزَّتْهَا الضَّلِيعَةُ والضُّليعُ

١ - وردت (جباه) هنا بفتح الجيم ولكنها وردت في « الأغاني » بكسر
الجيم ، وقد اتفقا بشرح الكلمة . (الجبى : الماء المجموع في الحوض للإبل) .
وفي « اللسان » - فيما فيه - الجبأ والجبأ : ما جمعت في الحوض من الماء والجبأ
والجبأ : ما حول البئر . والجبأ : ما حول الحوض ، يكتب بالألف .
ليست المشكلة - إذن - في فتح الجيم أو كسرهما ، وإن كان كسرهما الأولى إذا
أريد بالجبأ (ما جمع في الحوض من الماء ...) وهي ترد في « اللسان » - دائماً -
على الجبأ ، ولم ترد على (الجبى) ويبدو لي أن المشكلة الأساس في شرح (الجبأ)
بالماء المجموع في الحوض ، فلو كانت المسألة - هنا - مسألة الحوض لما كان الماء
المجموع فيه بعيد القعر لقصر حبل (سير) الدلو عن الوصول إليه ، فيصله
صاحب الإبل بعمامته - وفي هذا الوصل بالعمامة ما يمكن أن يفهم كناية عن بعد
الماء ، ولا يكون الماء بعيداً في الحوض ، وإنما يكون بعيداً في البئر . ويكون
الشرح الصحيح والمقبول - في الأقل - لكلمة الجبأ : (ما حول البئر) من
التراب ، أو (شفة البئر) عن أبي ليلي ..

أجل - إن الجبأ : ما حول البئر ، والبئر بعيد المستقى ، وعلى الجبأ : (حمامٌ